وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية
كلية الآداب
قسم اللغة العربية

القناع في شعر عبد الوهاب البياتي

بحث مقدم الى مجلس كلية الآداب قسم اللغة العربية وهو جزء من متطلبات نيل درجة البكالوريوس في كلية الآداب قسم اللغة العربية

إعداد الطالبة
سرى كريم سويد
بإشراف
أ. د .شاكر هادي حمود التميمي

1440 هـ

2019م

شكر خاص ...

كلمة شكر وامتنان.. إلى صاحب القلب الطيّب.. إلى صاحب النفس الأبيّة.. إلى صاحب الابتسامة الفريدة.. إلى من ساهم في الكثير مِن أجلي.. أ.د. شاكر هادي حمود التميمي .

أتمنى من الله عز وجل أن يعطيك الصحة والعافية، شكراُ لك على ما قدمته لي من العون في انجاز هذا الجهد ودام الله عزك ودام عطاؤك.

شكراً لك من أعماق قلبي على عطائك الدائم.

الباحثة

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، باعث الانبياء والمرسلين هداية للناس اجمعين ، وافضل الصلاة والسلام على خير الأنام منقذ البشرية من الظلال الى النور ، محمد المصطفى وعلى اله المعصومين الميامين ، واصحابه المنتجبين ، ومن دعا بدعوتهم الى يوم الدين . اما بعد . . .

فبعد اكمال هذا الجهد المتواضع لابد من الاعتراف بفضل من اسدي الي الكلمة الناصحة والمشورة السديدة من اساتذتي الأجلاء واخص منهم

أ.م.د شاكر هادي حمود - التميمي التي كانت توجيهاته الدائمة ايادي بيضاء على البحث وصاحبه . . . . . فجزاه الله خيرا وامداه بالموفقيه والعافية.

كما اوجه شكري وامتناني الى كافة اساتذة قسم اللغة العربية كلية الآداب لرعايتهم العلمية والمعنوية لطلابهم . . . . . وفقهم الله لخدمة المسيرة العلمية .

كذلك يدفعني واجب الاعتراف بالجميل ان اوجه شكري وامتناني الى من ساعدني من زملائي في اتمام هذا الجهد المتواضع .

وختاماً اشكر كل من مد لي يد العون من قريب أو بعيد وتعاون معي او وقف بجانبي ولو بكلمة . . . . . اسأل الله لهم التوفيق الدائم .

الباحثة

الاهداء

الى من كابد جور السنين ونأمل اشراقة شمسه البهية .
. . . . . بلدي الحبيب . . . . . حباً ووفاء

الى من كانوا ومازالوا فخري ومبعث همتي اوالدي
العزيزين عرفاناً بالجميل . . . . . .

الى الشموس المنيرة التي أضاءت لي دربي . . . . . .
. اخوتي وز وزملائي

اهدي جهدي المتواضع

الباحثة

فهرس المحتويات

المقدمة ١

المبحث الاول

مفهوم القناع واهميته ٣

اسباب القناع ٥

نبذه عن حياة الشاعر عبد الوهاب البياتي..... ٩

كلمات عن ابداع الشاعر عبد الوهاب البياتي واقنعته..... ٩

المبحث الثاني

الرمز والقناع..... ٢٦

اقنعة البياتي في الوضع السياسي: ٢٨

اقنعة البياتي في الموت..... ٣٢

ديك الجن ٣٢

الاصفر.....٣٥

الجنية ٣٨

هشتار ٤٠

الخاتمه ٤٤

المصادر والمراجع ٤٦

المقدمة

اهتم ا لشاعر العربي المعاصر بالقناع واحدًا من التقنيات الفنية الحديثة التي يمكن توظيفها عند استدعائه للشخصيات التراثية ,حيث شكل هذا القناع عنده ركيزة أساسية من ركائز تجربته الشعرية , بل ساهم وبشكل كبير في تشكيل البنى الفنية المكونة لنصه الشعري . وقد جاء اختيار الشاعر العربي المعاصر لأقنعته مرتبطا ارتباطا وثيق ا بما يجري من تطور وأحداث على مستوى الواقع التاريخي والسياسي من ناحية , وبالتطور الناجم عن وعيه بتلك التغيرات والتقلبات . وقد استطاع القناع بدوره أن يمنح الشاعر فرصة المزج بين الماضي والحاضر , وبين القديم والجديد وبين الذات والموضوع , إضافة إلى ما يهبه له من إمكانية التحدي للكثير من القضايا السياسية والاجتماعية التي لا يستطيع الخوض فيها دون اللجوء لهذه التقنية خوفا من بطش الأنظمة الحاكمة , التي لا تؤمن بحرية الفكر , والرأي والرأي الآخر . وبذلك راح الشاعر يتقنع بالشخصيات التراثية المتعددة , كالشخصيات الدينية , والتاريخية , والأدبية والشعبية التي تتوافق مع ما يريد طرحه من رؤى وأفكار حول قضاياه المعاصرة . ولم يتحول القناع إلى ظاهرة فنية يمكن رصدها , واستكناه دواخلها ودلالاتها وأشكالها وتجلياتها , إلا مع تبلور الشعر الحديث على أيدي الشعراء الرواد من أمثال : السياب والبياتي , وأدونيس ,وخليل, حاوي وصلاح عبد الصبور , وأمل دنقل فترة الستينات والسبعينات [1] ثم امتد هذا الحضور إلى ما بعده من فترات زمنية ولكن ماهو القناع وما ماهيته ؟ هذا وقد كثرت الدراسات حول تقنية القناع , وتوظيفها في الشعر الحديث , وذلك لما لها من أهمية

كبرى , دفعت الكثير من الأدباء والنقاد لتناولها بالبحث والدراسة وتتبعها عند الشعراء المحدثين, الذين شكلت هذه التقنية حضو اً بارز ا في أشعارهم , مثل بدر شاكر السياب ,وعبد الوهاب البياتي , ونازك الملائكة , وخليل حاوي , وأدونيس وغيرهم , الأمر الذي هيأ لقيام دراسات كثيرة حول هذه الظاهرة الفنية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : اتجاهات الشعر العربي المعاصر لإحسان عباس . دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث لأحمد درويش . تجربتي الشعرية لعبد الوهاب البياتي

١ـ تقنية القناع دلالات الحضور والغياب خلدون الشمعة ، ٧٤ـ٧٥

. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر لمحمد فتوح أحمد , تحليل

الخطاب الشعري لمحمد مفتاح . أقنعة الشعر المعاصر لجابر عصفور وغيرها . اما عن أسباب اختيار الموضوع فتتمثل في:

1بيان مفهوم القناع كونه أحد التقنيات الفنية في الشعر العربي الحديث- .

2الوقوف على أسباب اختيار الشعراء لهذه التقنية ودوافعه- .

3التعرف على الأساليب والطرق المستخدمة في توظيف هذه التقنية عند الشاعر البياتي- .

4معرفة الدوافع وراء اختيار الشاعر البياتي لشخصية المعري دون غيرها في هذه التجربة

المبحث الاول

مفهوم القناع وماهيته:

تشير كلمة " القناع " في اللغة العربية إلى معان لغوية متعددة تدور حول دلالات متفاوتة نسبيا , فقد تستعمل لتغطية الوجه , أو الرأس أو كليهما معا , ولهذا قيل عنه هو((ما تغطي به المرأة رأسها . . وفي حديث عمر أنه رأى جارية عليها قناع فضربها بالدرة [١]و قد ورد القناع بمفهوم أوسع , ومنه هذا المعنى الذي جاء في قول عنترة:

إن تغدفي دوني القناع فإنني ... طببأخذ الفارس المستلئم [٢]

و من معاني القناع الأخرى الخوذة التي يستخدمها المقاتل عند الحرب وفي الحديث : أتاه رجل مقنع بالحديد أي مغطى بالسلاح [٣] وعلى رأسه خوذة . وفي الحديث أيضا : زار قبر أمه في ألف مقنع , أي في ألف فارس مغطى بالسلاح وقد يميل في أحيان أخرى معنى الكلمة إلى تجسيد المجردات وتقريبها , بحيث تدل على الوجه الذي يظهر من المرء أو يدعيه , ومن هذا قولهم ألقى على وجهه قناع الحياء , وقنعه الشيب منه خمارا فكأنه أخفى وجها ,وأظهر غيره , وبهذا يبدو وكأنه يرتدي قناعا , وهو فعل قد ير[٤] تكبه المرء قصدا بغية منه في إخفاء ملامحه أو إخفاء الحقيقة التي لا يرغب في إظهارها. إن القناع يقوم في الحقيقة , على علاقة جدلية تفاعلية بين حالتي الإخفاء و الإظهار بحيث يمكن

رد المعنى العام للكلمة قناع إلى منبعه الأصلي الذي وظف فيه في أثناء الطقوس السحرية البدائية , لتحقيق حالة التقمص , بما يمكن اعتباره عملية إزاحة وإحلال بين الشخصية والممثل الذي يقوم بدورها , وهذه العملية لا تقوم على انفصالهما تماما , بل إن حضور أحدهما

١ـ لسان العرب ، ابن منظور ،٢٩٨/١٣

٢ـ الصحاح اسماعيل الجوهري ، ماده قنع ،٢٧٣/١

٣ـ لسان العرب ، مادة قنع

٤ـ المصدر نفسه

,ويتفاعل معه [1].لقد قام الاغريق باستخدام القناع في المسرح كأحد التقنيات , التي تتيح للممثل تقمص أكثر من

شخصية داخل العمل المسرحي و أكثر من دور , و هذا يعطي دلالة أن القناع هو مصطلح كان ظهوره الأول عبر المسرح , و لم يكن له وجود فعلي في عالم الشعر , إلا مع بدايات هذا القرن ,ليصبح له دور آخر يؤديه إلى جانب العمل المسرحي , ولعل هذا الارتباط بين المسرح والقناع ,والذي دفع بعض الباحثين إلى افتراض أن " قصيدة القناع " قد تزامن ظهورها مع ظهور الشعر الدرامي , ويحاول عبدالرحمن بسيسو أن يعزز هذه الفرضية بالمقطوعات والمطولات الشعرية التي يهيمن عليها ضمير المتكلموالتي تلقى من شخصيات محورية في العمل المسرحي, مكتشفا أنها تعبر عن موقف الشاعر ورؤيته وأحاسيسه التي يبثها من خلال هذهالشخصية كقناع يرتديه من لحظة لأخرى [2]

وهكذا نرى أن القناع كان مصطلحا مسرحيا بداية , ثم انتقل منه إلى الشعر الحديث ليمنح الشاعر وسيلة أخرى من وسائل التوظيف للرموز والشخصيات التراثية , غير أنه لابد لنا من التفريق بين الشخصية الشعرية التي يتأملها الشاعر عن بعد , والشخصية " القناع " التي يدخل معها في اندماج وتفاعل كامل مع كل مكوناتها , وهذا ما يسهم في انصهار تجربته الذاتية مع مقومات تلك الشخصية المستدعاة .

١ـقصيدة القناع عبد الرحمن بسيسو ،٢٠

٢ـاستدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر علي عشري زايد ،٥٨

أسباب القناع- :

أسباب ذاتية:

تتفاوت مواقف الشعراء والمبدعين العرب إزاء التراث عامة , و إزاء التراث الشعري خاصة, إذ ذهب بعض منهم إلى العمل على إحيائه , وإعادة الحياة فيه , من خلال القيام بنشر نماذجه المختلفة في الحياة الأدبية الحديثة , و هذا ما ظهر عبر حركة الشعر الإحيائي , التي رأى روادها ((أن شعرنا العربي لن يستطيع أن يثبت وجوده , ويحقق أصالته , إلا إذا وقف على أرض صلبة من صلته بتراثه وارتباطه بماضيه , وأيقنوا أن انقطاع الشعر عن تراثه .... إنما هو حكم على ذلك الشعر بالذبول ثم الموت [1] ومن هنا استلهموا أفضل نماذجه في عصور ازدهاره وبخاصة العصر العباسي , الذي كان محل اهتمام الشعراء وشكل الأساس الذياعتمدوا عليه في قيام بعض تجاربهم الشعرية . وكردة فعل على تلك النزعة ظهر تيار آخر يدعو إلى نبذ التراث والتخلص منه , بل ويحط من قدره ,ويقلل من قيمته معنويا وفنيا , مبررا ذلك بعدم قدرة الأدب العربي الحديث على الاكتمال , أو توفر أسباب القوة له والتجذر , أو التحرك بحرية كاملة , إلا إذا تخلص من تراثه المثقل , الذي بات حسب زعمهم يشكل قيودا وحدودا وأعرافا و تقاليد , تقف حائلا دون نمو الأدب الحديث وتطوره . وهو موقف فيه الكثير من الحدة والصرامة في التعامل مع التراث , و تعبير عن بعض المواقف السلبية التي أبدتها أقليات عرقية ومذهبية , ومن ثم ذهبت إلى التشكيك في بعض التراث علها تتخلص من بعض الأوضاع , و لتتخطي بعض المعوقات تاريخيا وتراثيا , والالتقاء على أصعدة أخرى من الايديولوجيات الجديدة ((وعندها يصبح التاريخ عبئا ثقيلا , ويصبح التخلص منه أمرا حيويا وضروريا [2] . و هذا لا يتحقق إلا من خلال خلق بديل له , والعمل على إبراز أدوار تاريخية تكون مناهضة له , وتعمد تمجيدها, ومقارنتها أو موازنتها ببعض الجوانب السلبية في ذلك التراث المرفوض.

١-اتجاهات الشعر العربي المعاصر إحسان عباس ،١١٠

٢-قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر عائشة عبد الرحمن ،١٦٥

وإلى جانب تلك المجموعتين ظهرت مجموعة من الأدباء والشعراء والرواد , أخذوا على عاتقهم مهمة العودة إلى التراث بطريقة سليمة , والاغتراف من منابعه بكيفية تختلف عن كلا الاتجاهين السابقين , المتعصب له والثائر عليه , حيث يعود الشاعر الحديث إلى التراث وهو يعني أن القديم يظل دائم الحضور في اللحظة الحاضرة , وأن الماضي لا يمضي نهائيا, وهذا يوضح أن اللحظات جميعها الماضي والحاضر و المستقبل لا تتعايش فحسب بل تتعاصر هنا في منطقة الحضور , أي في ذواتنا ونصوصنا , ومن هنا فإن ((الأديب الذي يفقد اتصاله بتاريخ قومه وتراث أمته , لا يصلح بحال ما , أن يعبر عن وجدانها المعاصر , لأن فقدان وعيه لشخصيتها يجعله أجنبيا عنها , غريبا عليها[1] وهي نظرة عاد وفقها الشعراء إلى التراث العربي والإنساني , مدعومين بثقافة واسعة ومتنوعة وواعية , تمكنهم من التلاقح الحضاري ليكون سبيلا للإبداع , إلى جانب استلهامهم تراث أمتهم.

أسباب ثقافية- :

لقد أتاحت الظروف وما طرأ من تطورات في العالم , وفي الوطن العربي بوجه خاص فرصا كبيرة للشاعر الحديث الاطلاع على ثقافات متنوعة مكنته من دراسة النتاجات الشعرية الغربية وتحليلها , والوقوف على بعض جوانبها الفنية والإبداعية التي حاول الاستفادة منها وتوظيفها في بناء نصه الشعري , بعد أن تعددت مصادرها ونماذجها , وأخذت تنتشر في الأوساط الأدبية العربية , عن طريق ترجمتها أو استلهامها , أو الإفادة من أفكارها وأساليب بنائها الفني , وقد يكون في اطلاع المبدعين العرب من الشعراء والأدباء على نتاجات الرمزيين في فرنسا, والتصويريين في انجلترا أعظم الأثر على النتاجات الأدبية العربية , منذ منتصف هذا القرن وحتى بداية الربع الأخير منه.

١-فاتحة لنهايات القرن العشرين بيانات من أجل ثقافة جديدة ، أدونيس ،٢٣٧

أسباب إبداعية-:

لقد جاء موقف المبدع في الوطن العربي منسجما كلية , مع ما كان يمر به هذا الوطن من أشكال الاستبداد التي رسمت ملامحه , وغطت على كل بصيص للأمل خاصة عقب الهزائم والنكسات التي مني بها في تلك الفترة من فترات تاريخه , و بعد نضاله الوطني والقومي الطويل من أجل الحرية والتقدم , فتحولت أثرها أنظمة الحكم فيها إلى أدوات قمعية دكتاتورية فقدت كل مبررات الاستمرار غير مبرر الإرهاب , وشريعة العنف , حيث أصبح الخوف من الكلمة أشد وقعا على تلك الأنظمة من خوفها من البراكين والكوارث الطبيعية ((ولا تسأل عن القصيدة مثلا فهي– – تهز وتزلزل أو الكتاب مثلا فهو رعب كامل ,) [1] **ولذلك أصبحت مواجهة تلك النتاجات الأدبية والشعرية , أشد قسوة وأكثر كلفة في ميزانيات تلك الأنظمة , من الاستعدادات التي قد تتخذها لمواجهة العدو , وقهر التخلف الذي يجتاح أوطانها , وهذا ما دفع الشاعر العربي الحديث إلى البحث عن أسلوب جديد و ملائم للتعبير عن مواقفه اتجاه قضايا وطنه وأمته, فكان اهتداؤه لتقنية القناع , الذي هيأ له فرصة البوح بطريقة فنية جديدة تناسب واقعه العربي .**

١-شعرنا العربي الحديث إلى أين ،غالي شكر ، ٢٢٠

أسباب سياسية واجتماعية ودينية- :

لقد عاش المبدع العربي وسط بيئة سياسية واجتماعية تنظر إلى أي نقد لها على أنه جريمة من الجرائم التي لا تغتفر وخاصة عندما يتعلق الأمر بتناولها لتلك الجوانب التي تضفي عليها هالة من القداسة والنزاهة والكمال , من خلال ما تكرسه من أشكال الدعاية والإعلان ,وأشكال الجبر والتطويع , فإنه لا يجد وسيلة للتعبير غير التحايل والتلاعب بالعبارات والألفاظ , وكم لجأ الأسلاف فيما مضى إلى الكناية والاستعارة وأسلوب الحكيم , وحتى التحدث على ألسنة الطيور والحيوانات ليتمكنوا من الإفصاح عما يريدون , دون أن يكونوا عرضة للبطش والتنكيل ولو بشكل مؤقت , ويكون التعبير المقنع هو السبيل الوحيد أمام المبدعين , خاصة عندما يعمدون إلى نقد الحياة السياسية والاجتماعية والدينية , وتعرية زيف واقعها ودجلها , من خلال ابتكار أساليب وأدوات فنية , تجنبهم ما قد يتعرضون له من قمع السلطات وبطشها , وقد تكلفهم الحياة نفسها , و لعل من أبرز هذه الأساليب التي لجأ إليها الشعراء ,وعمدوا إلى توظيفها((الاستناد على إحدى الركائز الأسطورية والتاريخية , حيث توجد بعض الشخصيات والأحداث والمواقف القادرة على التجسيد الشعري , وليست جاهزة تماما بالطبع , وإنما مهيأة للقيام بدورها الشعري أكثر من غيرها [1] و يعد كل ما تقدم بشأن أسلوب " القناع " وقصيدته , في إطار التأصيل النظري لهذه الظاهرة الفنية من ظواهر الشعر العربي الحديث , بوصفها ملمحا متطورا من ملامح توظيف الصورة الشعرية الرامزة , ولاكتمال التصور حول هذه الظاهرة لابد من تتبعها في بعض النماذج الشعرية عند بعض الشعراء , الذين وظفوا هذه التقنية وحرصوا على استخدامها في بعض أشعارهم.

١-اثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، علي حداد ، ١٦٠

نبذه عن حياة الشاعر عبد الوهاب البياتي

ولد عبدالوهاب البياتي، أحمد جمعه خليل البياتي في 19 كانون الأول سنه ١٩٢٦ م في حي صغير بالقرب من مسجد الشيخ عبدالقادر الكيلاني في بغداد

أكمل دراسته في دار المعّلمين العاليه عام ١٩٥٠ م وانصرف منذ ذلك الحين إلى الأدب وطبع بعض الدواوين من أشعاره الوجدانيه .غادر البياتي العراق عام ١٩٥٥ م، وعاش في مصر ولبنان وسوريا . وزار معظم أقطار أوروبا الشرقيه و الغربيه وفي سنه١٩٦٣ العراقيه أسقطت عنه الجنسيه وفي الفتره

1980-١٩٧٠ م أقام الشاعر في إسبانيا وفي شباط 1991 م وصل البياتي واشنطن، إذ كانت لهذه الزياره

اهميه بسبب قصف القوات الامريكيه و حلفائها بغداد . قال البياتي في مؤتمر صحفي هناك ان المغول دموروا بغداد في العصور الوسطى و لكنهم اقل وحشيه من هذا القصف الجائر الذي تقوم به الدولة حضاريهكولايات المتحده . ومن هناك ذهب الى عمان و ان ايران كانت اخر بلد زارها الباتي

ثم غادر الى دمشق و اقام فيها حتى وفاته عام ١٩٩٩م

كلمات عن ابداع الشاعر عبد الوهاب البياتي و اقنعته

تعد قصيدة عبد الوهاب البياتي "محنة أبي العلاء " من القصائد التي تصلح أن تكون نموذجا للتوظيف القناعي , وذلكلما تتضمنه من صلات بين البياتي والمعري, و ما بها من نقاط شكلت محور التقاء بين الشاعر وهذه الشخصية((فأبوالعلاء قناع لتجسيد حالة , يمكن أن يعيشها الشاعر والمثقف في كل عصر , تلك هي الإحساس بالغربة , ورفض الواقع وقيمه المنهارة [١]

١-ينظر تجربتي الشعرية ، عبد الوهاب البياتي ، ١٠٣

البحث في وسط هذا كله عن الحقيقة والتمسك بها , وهذه من أهم النقاط التي قصدها الشاعر البياتي في هذه التجربة , وعمل على تضخيمها عند الشخصية المستدعاة والتأكيد عليها, ليحجب في الوقت نفسه جوانب أخرى لا تتفق ومواقفه الداعية للحياة والداعمة لمسيرتها.

وليس في حياة المعري أحداث مثيرة تكون مدعاة لاستدعاء شخصيته والتقنع بها , إلا ما اشتهر به من العزلة , والمبالغة في تمجيد العقل وإعمال أحكامه , فقد عاش حياة طويلة هادئة , لم يسهم في ثورة , ولم يؤلب الناس على حاكم أو إمام , بل كان يدعو للمهادنة ويقول بالتقية, وقد تكون نقاط الاختلاف بين البياتي والمعري أكثر من نقاط الالتقاء , على صعيد حياتهما العامة والخاصة , فإذا كان المعري عاش معزولا أو منعزلا عن الناس , مضربا عن كل مظاهر الحياة الإنسانية ومجافيا لها , فإن البياتي لم يفعل شيئا من هذا , فقد كان مقبلا على الحياة محبا لها متزوجا وله أولاد , يحبهم ويحترق شوقا إليهم , وإذا كان المعري كذلك قد لزم معرة النعمان فإن البياتي لا يمل التنقل والترحال من بلد لآخر , فهو في رحلة دائمة لا تتوقف وعلى الرغم من نقاط الاختلاف التي أشرنا إليها سابقا , غير أنها لا تنفي وجود أوجه للالتقاء بين الشاعر وقناعه__ خاصة حول القضايا الاجتماعية والفكرية , فالمعري والبياتي يرفضان ظلم السلطة ,وينتقدان تنظيراتها وأساليبها الدعائية في استغفال الناس لاستلاب حقوقهم , والتفرد بمغانم الحكم والتهرب من مغارمه واستحقاقاته , حيث تستأثر السلطة بكل شيء زمن السلم , وتفرط في كل شيء عند الشدائد والملمات , كما أنهما يرفضان التملق والنفاق التي يتبعها بعض الشعراء والكتاب إرضاء للسلطة , للحصول على مآرب ومزايا شخصية , والأهم من هذا أن البياتي يلتقي مع المعري في الإعلاء من شأن العقل وإعمال قياساته , وخاصة فيما يتعلق بمفاهيم العدل والظلم , والتي تبدو واضحة عند تحليل القصيدة , على الرغم من أن المعري يختلف عن البياتي في الموقف الاعتقادي,إذ يقول الأول بالعقل ولا يرى غيره سبيلا للمعرفة , حتى معرفة المولى عز وجل في حين يقول البياتي بالوسائل , ويتمسك بزيارة أضرحة أولياء الله من حين لآخر [1])

١-الرؤيا في شعر البياتي ، محي الدين صبحي ، ١٨١

تتكون قصيدة " محنة أبي العلاء " من عشرة مقاطع , يظهر فيها بشكل واضح تداخل الأفكار مثلما تتداخل فيها الأصوات , حيث يسعى الشاعر فيها إلى رسم صورة الإنسان عبر العصور وهو يرفض ويثور عليه , وعلى كل المخالفات الاجتماعية , التي تسهم بشكل كبير في ترسيخ قيم الفساد , وصوره المختلفة وأوضاعه المهينة , وهو الجانب الذي استلهمه البياتي من شخصية أبي العلاء المعري , وحاول تكبيره من خلال التركيز عليه وتضخيم صورته , فمن شأن تقنية القناع أن تؤدي ((إلى تكبير الجوانب القابلة للتحديث في فكر الشخص المختار وتجربته , وهذا ما صنعه البياتي بالجانب العقلي من تراث المعري [1] فقد اقتصر البياتي على جوانب معينة من أفكار المعري , وبخاصة تلك الأفكار التي قامت على التشكيك في صحة الواقع وسلامته عندما يسوده الظلم والجور , من خلال إثارة التساؤلات التي تقود إلى هذا الغرض , و يصبح الوجود في ظلها ضربا من العبث , غير أن البياتي يهمل مواقف أبي العلاء المعري المعارضة للحياة والداعية إلى اعتزالها, فهي مواقف لا تنسجم مع موقف البياتي الشاعر التقدمي , الذي يحمل هموم قومه وهموم الإنسان عامة , ويبشر بالحرية ويحث على الثورة , إذ من غير المعقول أن تحمل شخصية أبي العلاء هذه المفاهيم الأخيرة , وهي تحمل فلسفته التشاؤمية.

والقصيدة تبدأ بتساؤلات متلاحقة , تعكس بصورة واضحة رغبة الشاعر في إبراز الدلالات الرمزية التي أرادها الشاعر من شخصية المعري , من خلال تساؤلات تحمل قلق الشاعر البياتي حيال الظروف , التي أصبحت تنحرف بكل شيء عن مقصده , أو تعمل على عرقلة مسيرته ,مما يحول المستقبل إلى سؤال كبير .

١-ديوان عبد الوهاب البياتي ،٢ /٢٤

يبعث على الحيرة والشك والخوف منه , ومن ما قد

تحمله قادم الأيام.

لمن تغني هذه الجنادب ؟

لمن تضيء هذه الكواكب ؟

لمن تدق هذه الأجراس ؟

و أين يمضي الناس ؟ [1]

تساؤلات فيها الكثير من السخرية والتهكم , خاصة وهي تخص الجنادب بالغناء , دون سائر الكائنات الأخرى التي في الطبيعة , فلمن يشير الشاعر بوصفه هذا ؟ لعله يقصد بذلك الشعراء الذين أصبحوا يمتهنون ويحترفون الشعر , ويجعلون منه وسيلة للرزق والتكسب , على حساب دوره وقيمه الإنسانية , وهو كان مدعاة لحيرة المعري سابقا , ولحيرة الشاعر البياتي فيما بعد, وشكوكه وتساؤلاته , و لهذا نراه ينزل سيلا منالعنات والشتائم فيما يلي من أبيات القصيدة على هؤلاء الشعراء , ويتمادى في إهانتهم

هذا بلا امس و هذا غده قيثارة خرساء

داعبها فانقطعت اوتهارها ولاذ بالصهباء

وذا بلا وجه بلا مدينه بلا قناع

اشعل في الهشيم نارا و انتهى الصراع

وذا بلا شراع

ابحر حول بيته و عاد

حياته رماد

وليله سهاد [2]

١-ديوان عبد الوهاب البياتي ،٢ /٢٤

٢- المصدر نفسه ، ٢ /٢٥

وهنا يبدو الناس مشتتين ومنقسمين بين ماضيهم الغامض , الذي يلقي بهم في متاهات الغيب والتسليم , و بين حاضر لا تتضح ملامحهولا قسماته , حيث لا هوية ولا وطن , ومستقبل تقطعت سبله, وغابت الوسائل التي تعين على استشرافه , وعلى تحقيق تطلعاته , فلم يعد ثمة سبيل غير تعطيل العقل , وشل قدرته على التفكير" ولاذ بالصهباء " فهي السبيل لنسيان كل ما هو فيه , و الخروج من معاناته, وأمام كل هذا اليأس والخراب الذي يغمر الإنسان ويحيط به لابد أن يصيبه شعور بالضيق والملل , خاصة بعد أن أصبح إبحاره لا يتجاوز محيط داره " وذا أبحر حول بيته وعاد ," ولهذا يندفع في عملية انتحارية تعكس حالة يأسه وقنوطه "أشعل في الهشيم نارا وانتهى الصراع " و تتحول بذلك حياته إلى عذاب مقيم ومتواصل " حياته رماد , وليله سهاد " هذا تعبير عن حالة الإحباط واليأس , التي صبغت الحياة بصبغتها , وحولتها إلى جحيم وعذاب وأرق لا ينتهي.

يا موت يا نعاس

لوركا و نور العالم الابيض في الاكفان

وفارس النحاس

في ساحة المدينه

تجلده الرياح [1]

قد يبدو لنا غريبا أسلوب الربط المفاجئ الذي سلكه البياتي , حين ربط بين أبي العلاء والشاعر الأسباني " لوركا , " ولكن الشخصية عند استدعائها تخضع لرؤى الشاعر المعاصر , وتخرج عن إطارها الزمني و التاريخي , لتتحرك وبكل حرية في أبعاد الزمن كله " الماضي الحاضر– المستقبل ((فالرمز الفني . . يختار تخوم الزمن . . . . ولن نجد أبا العلاء هنا محاصرا في– بيته وعصره , بقدر ما نجده جائلا في كل العصور , وقد نختلج دهشة واستنكارا لبعد الشقة بين المعري ولوركا إذا نظرنا إلى المعري في اطاره التاريخي , بينما نراها طبيعية في إطار شخصيته الرمزية [2]

١-الأسطورة في الشعر العربي الحديث ، أنس داود ،٣٥٧

٢- ينظر الرؤيا في شعر البياتي ، ١٧٢

وتتضمن الأسطر من القصيدة مفارقة تعمق المأساة , وتفتح بشكل كبير مجالا أوسع للتساؤلات, فالشاعر الخالد " لوركا ونور العالم الأبيض في الأكفان " محاصر بالموت والنعاس بينما يبقى هذا الأجوف " فارس النحاس " منتصبا في ساحة المدينة " تجلده الرياح وتنوشه الرياح " وهو تعبير عن عدالة هذا الواقع . و في " فارس النحاس " إشارة إلى استمرار حالة الخراب والدمار والضياع , باستمرار انتصابه , وهو يذكرنا في هذا المقام , بحكاية الحمال والبنات , في ألف ليلة وليلة , وفوق القبة فارس على فرس من نحاس , وفي يد ذلك الفارس رمح من نحاس , ومعلق على صدر الفارس لوح من رصاص , منقوش عليه أسماء وطلاسم فيها أيها الملك , ما دام الفارس راكبا على هذه الفرس تنكسر المراكب التي تفوت من تحته ويهلك ركابها جميعا ولا يزال يرتبط تعليل ما يرى من تناقض في الواقع , بقوى خفية لها إمكانية التحكم في مصائر الناس ,وتوجيههم طرقا محددة في الحياة , دون أن تكون لهم إرادة الاختيار أو المفاضلة , بل يسيرون مرغمين إلى مصائرهم ونهاياتهم , هذه القوى الخفية هي " القدر " الذي يتوجه إليه المعري و البياتي متوددا ومعاتبا

سيصبح الصمت رهيبا عندما اكسر عند قدميك ابتي الاناء

مت و ما تزال حيا انت و الريح التي تبكي

تهز البيت في المساء

حرمتني من نعمة الضياء

علمتني نقل غياب الكلمات و عذاب الصمت و البكاء [1]

علنا لرغم من كل ما لمسناه من احتجاجات مبطنة , تضمنتها التساؤلات التي كانت في بداية القصيدة , والأوضاع الدافعة إليها فإن " المعري و البياتي " يخاطب من يعاتب " أبتي" في شكل من أشكال التودد , غير أن هذا التلطف في الخطاب لا يلغي معاني الرفض وعدم الرضا التي سادت سابقا , بل هو ينذر بأن صمتا رهيبا قد يسود عندما يتمكن من التخلص من أهم سجونه وأظلمها , و المتمثلة في الجسدالذي يحتوي تلك الروح الحائرة " أكسر عند قدميك أبتي ألإناء" والإناء هو رمز معروف للجسد , ومعنى ذلك أنه عندما يموت ,سيسود الحياة حالة منالصمت

١-ديوان البياتي ، ٢ / ٢٥

التام. وتؤكد الأسطر التي تلي هذا السطر , التعبير عن عدم الرضا المشوب بروح التمرد

" مت وما تزال حيا أنت حرمتني من نعمة الضياء علمتني ثقل غياب الكلمات عذاب

الصمت والبكاء الباب أغلقت إلى الأبد

لذلك فهو يحمل هذا المخاطب جريرة ما لحق به من

أذى , وما ألم به من ألم في هذه الحياة , ويذكره بها عندما يطل عليه في غد مقبلا يديه:

ثلاثة منها اطل في غد عليك

مقبلا يديك

لزوم بيتي و عماي و اشتعال الروح في الجسد [١]

لا شك أن نهاية هذا المقطع تبرز بوضوح ملامح أبي العلاء المعري ,الذي استدعاه البياتي لأجلها , وتتحدد شخصيته بشكل أكبرفي المقطع الثاني " العباءة والخنجر" حين يقوم البياتي بعملية إسقاط مكشوفة , محملا شخصية أبي العلاء تجربة " شاعر البلاط " ومصورالردة فعله على الأمراء وشعرائهم بعد فراره منهم , ورسم بذلك مشهدا يفترض أن يكون قد حدث أثناء وجود المعري في بغداد , و قد تكون عملية الاسقاط هذه , جاءت تعبيرا عن تجارب البياتي السياسية , و ما تنتابه من أحاسيس ومشاعر في أثناء كل تجربة من تلك التجارب التي مر بها وبعدها , بل إن إحسان عباس يذهب إلى أن ((البياتي والمعري كليهما أجبرا على تمثيل دور لم يمثلاه , وهو انتسابهما إلى بلاط أمير)) [٢] غير أن ما يصدق على الأول قد لا يصدق على الثاني , فمن المعلوم أن البياتي قد تولى في حياته , بعض المهام السياسية والرسمية , حيث شغل منصب المستشار الثقافي بالسفارة العراقية بموسكو , ومدير التأليف والترجمة بوزارة المعارف وغيرهما , وهذا يبين اختلاف الشخصيتين من هذا الجانب.

١-اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ١٢٤

٢- ديوان البياتي ،٢ /٢٦

وفي هذا المقطع يصور البياتي العلاقة بين الشاعر والسلطة , الذي دأبت في نظره على استغلال الشاعر أو إذلاله , وهو في كلا الحالتين عرضة للهوان , وإن كان رضوخه لإغراءات السلطة و قيامه بالدعاية لها , يتيح له فرصة الانغماس في ملذاتها ومغانمها , التي لا تغدق إلا على اتباعها و أعوانها والمقربين منها:

شربت من خمر الامير و رايت في انهار ليلة النجوم

اكلت من طعامه المسموم

اصبت بالتخمه و الحمى و الضجر [1]

إن الانغماس في ملذات السلطة , والتمتع بمغانمها , لابد يقود إلى التغاضي عن الكثير من نقائصها وعيوبها , بل والبعد عن كل أشكال النقد لها , والتعبير " بالخمر " يشير إلى تغيب العقل عمدا , بفعل صاحبه لا بفعل خارج عن إرادته , فمن يعش في جو يتحول فيه الليل إلى نهار تتهادى فيه الأقمار والنجوم , لا يمكنه بعد ذلك إعمال عقله في مدى صحة ما هو فيه من عدمه" ورأيت في نهار ليله النجوم " إنه نهار يحيها الأمير ومن حوله , وسط ظلام دامس يلف أرجاء الكون , و يكسي حياة الإنسان بالسواد , وموائد الأمير لا تحمد عقباها , بل لا بد أن تسري سمومها في الجسد , فتفسد العقول والذمم , وتكون النتيجة

اصبحت في بلاطه حجر

ليلا بلا سحر

قيثارة مقطوعه من الوتر

عباءة بالية مسمار

صفرا يدور في الفراغ الة تدار [2]

١ـديوان البياتي ،٢٦/٢

٢ـ المصدر نفسه

بهذا التواجد في بلاط الأمير , فقد الشاعر كرامته وآدميته , بعد أن تجرد من شاعريته وحيويته" ليلا بلا سحر , قيثارة مقطوعة الوتر " بل صار من سقط المتاع وتوافه الحياة التي لا قيمة لها" عباءة بالية , مسمار , صفرا يدور في الفراغ" وهذا كله يساوي العدم , غير أنه وعلى الرغم من ذلك يمر بظروف طبيعية وإنسانية , تحرك في نفسه جذوة الحب الإنساني وكرامة البشر, فيعاوده الحنين إلى ممارسة دوره الطبيعي , في بث الحياة وحرارتها في أرجاء الأرض:

و غسل المطر

ذوائب الشجر

انزع نفسي في بلاط قصره ، و اكسر الحجر

اشد في قيثارتي الوتر

يدي التي استرجعتها

امدها لتنفخ الحياة في الجماد

لتزرع الاوراد

امدها للشمس و الريح للمطر

لاخوتي البشر [١]

فالشاعر في ((أواخر المساء ينتشل ذاته عن الهوة التي تردى فيها , يرد لروحه فاعليتها في غرس بذور المستقبل الإنساني الذي لا يتجمد عند الأمير وحاشيته))[٢] أو هكذا ينبغي أن يكونعليه , ولعل في هذا المقطع ما يشير إلى أنه من تجارب البياتي , أو هو من نسج خياله , و في كل الأحوال فقد أدى إلى محصلة مهمة كانت خاتمة لهذا المقطع , وربما حددت في الوقت نفسه مسيرة البياتي لاحقا.

يصور المقطع الثالث " المغني والأمير " مشهدا لمغن ما مع أميره , إذ ((يختفي صوت الشاعر وصوت قناعه , ليكونا شاهدين على حالة كان فيها مغن ما , يحدث أميره عن حلم رآه)) [٣]

١-الأسطورة في الشعر العربي الحديث ، ٣٦٣-٣٦٤

٢-أثر التراث في الشعرالعراقي الحديث ، ١٦٢

٣-المصدر نفسه

ويستبعد أن يكون " المعري والبياتي " هو ذلك المغني لأن((صيغة المقطع توحي بحكاية يشهدها الشاعر مع قناعه دون أن يكون أي منها مشاركا فيها)) [1]

لقد قص ذلك المغني حلما مريعا رآه الأمير

فانني رايت في الاحلام

ثاجك منه يصنع الحداد

نعل خصاني ويجز راسك الجلاد

وكان من الطبيعي بعد قص هذا الحلم من قبل المغني , أن يصاب الأمير بالهلع و الهستيريا فيضحك ويبكي في آن واحد . . ." ثم ضحكا , وقال للجلاد شيئا وبكى , " وأن يثور فيضرب الأبواب , ويقلب آنية الطعام والشراب , وأن تكون نهاية المشهد:

وسكت القيثار

و انطفأ القنديل ثم اسدل الستار

ويستمر البياتي في تصوير مجالس السلطة , فيقدم أنموذج اً آخر منها , يفيض سخرية وتهكما برموز السلطة وأتباعها , فيرسم صورة سافرة للمجلس ومن يتصدرها , حيث تطغى خلال ذلك نبرة البياتي في نقده المباشر , وتميل الأسطر نحو الأسلوب التقريري , وخاصة بداية المقاطع التي تشبه بعض المداخلات في اللقاءات السياسية العربية: من كل صعلوك شويعر , دعي , نمام في هذا الحيز القليل من الأسطر يجمع البياتي من الشتائم والسباب , ما يعجز الكثير عن جمع هدواب هوام، صعلوك شويعر، دعي داعر نمام .

لا شك أن هذه الصورة التي رسمت في هذا المقطع هي انعكاس لحالة الغضب و الغيظ والحنق, اتجاه الشعراء الذين ناصبهم العداء , وإن حاكما يجمع مجلسه كل هؤلاء لابد أن يكون على هذا الوصف:

١-الرؤيا في شعر البياتي ، ١٧٤

كان اذا ما انشدوا اشعارهم ينام

مفلطحا و متخما

وكلما انشد منه احد تململا

وقال لا [1]

لاشك أن هذا المشهد يصور حالة اللامبالاة , التي يبديها الحاكم اتجاه هؤلاء الشعراء , الذين يحاولون تسليته والترفيه عنه , وقد حاول أولئك الشعراء استعطاف الأمير بأي شكل من الأشكال ,غير أن البياتي أمعن في التشفي منهم , و أمعن في إذلالهم:

مولاي هل يخفى القمر

ويغضب الامير

ويصفع الشاعر فالقمر

يغيب كل ليله في صفحة الغدير [2]

وهنا يسفر البياتي عن وجهه كلما تقدم المقطع , حتى يسقط قناعه, و كان هذا واضحا منبداية المقطع , حينأخذ يكيل السباب والشتائم , ويمعن في نعوته وأوصافه للشعراء , وبهذا يكون البياتي ((قد نسي أنه قد جعل المعري قناعه , وأخذ يتحدث من ذلك القناع كالممثل الذي ينسى دوره في المسرحية , ويأخذ في مخاطبة الجمهور [3]

١-ديوان البياتي ، ٢ /٢٩

٢-اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ١٢٤

٣-ديوان البياتي ،٢ /٢٩

كان زمنا داعرا يا سيدي

كان زمنا داعرا يا سيدي كان بلا ضفاف

الشعراء غرقوا فيه و ما كانوا سوى خراف

وكنت انت بينهم عراف

وكنت في مأدبة اللئام

شاهد عصر ساده الظلام [1]

في المقطع الخامس " حسرة في بغداد " يعمل الشاعر البياتي على توظيف , رحلة المعري إلى بغداد , وإقامته فيها , فيصور من خلالها حنينه إلى بلدته معرة النعمان وخاصة أنه لم يحقق ما كان يأمله من تلك الرحلة , بل قوبل هناكبالإهانة من قبل بعض العلماء والشعراء , ويلتقي البياتي والمعري في هذا الشجن العميق , المتمثل في غربته عن أهله ووطنه , وهوانه على قومه ,فهذا المقطع يعكس حنين البياتي إلى بغداد:

ابحث عن سحابة

خضراء عني تمسح الكأبه

تحملني الى براري وطني [2]

ويظهر الحنين هنا واضحا لدى الشاعرعلى الرغم من محاولة مداراته , وذلك من خلال أمانيه التي تصاعدت وكبرت شيئا فشيئا , ويقترب حينها من سطح قناعه بصورة كبيرة:

١-ديوان البياتي ،٢ /٣١

٢-المصدر نفسه

فمن ترى ؟

بمائه يغسلني

تحت ظلال نخله يدفنني

فوطني بعيد

وبيتنا هذي الليالي السود

و الحبر و الاوراق [1]

فالشوق والحنين للوطن والأحباب كبير وعظيم , و قد حالت بينه وبينهم تلك المسافات , وهذه الليالي الكئيبة الحزينة, التي لونت حياته وظللتها , ومع ذلك يبقى الأمل لديه كبير في العودة, ومشاركته في بناء وطنه:

وبعد الف سنه ستنضج الاعناب

وتملا الاكواب

ويبعث المغني

فآه ثم آه يا صبابتي و حزني [2]

ويستمر البياتي في المقطع السادس , غير أنه يكثر من التناص مع المعري , ليخفف بذلك من سيطرته وهيمنته المطلقة على هذه المقاطع , وذلك من خلال استعارته لمصطلحات المعري وتسمياته فالليل " عروس من الزنج عليها قلائد جمان , والدنيا عاقر هلوك , وهي أم ذفر, والحقيقة صخرة في الصدر , والوجود غارق في الأوحال ." فكل هذه التراكيب تحيل بوضوح على المعري , ولكنها في الوقت ذاته لا تحول دونطغيان البياتي وأفكاره على المقطع:

١-ديوان البياتي ،٢ /٣٢

٢-المصدر نفسه ، ٣٣

الليل في معرة النعمان

زنجية على رخامجيدها قلائدها و الحمان

و اي رعد عاقر ايقظ في الوديان

منازل الاقنان

وحرك الاضغان

في هذه الضفادع المقطعه اللسان

و لتسكتي ضفادع السلطان

و الجيف الموشومه

بالنار و الجرائد القديمه [1]

و رغم كل هذه المباشرة التي سادت بعض الأسطر في هذا المقطع , فإن تقنع البياتي قد خفف من حدة النبرة الخطابية , ويعمد البياتي في هذا المقطع إلى هجاء المأجورين من الشعراء ورجال الفكر . أما المقطع الثامن " لتكن الحياة " فيتنازع الشاعر وقناعه الأفكار التي وردت فيه وينطلق من مسلمة الموت عدل , حيث يطلق من خلالها أسئلة كثيرة , مقتديابالنهج الذي سلكهأبو العلاء المعري ,فإذا كان الناس متساويين في الموت , فلماذا لا يتساوون في الحياة ؟ وإذا كان ثمة عدالة فلماذا لا تكون إلا في الموت:

الموت عدل و حسنا فلتكن الحياة

عادلة و ليمنح الشحاذ عرش الشاه

فمصطفى مات على الرصيف في الظهيره

و الشاه مات فوق صدر الدمية الاميرة

١-الأسطورة في الشعر العربي الحديث ، ٣٣٦

فالعدالة كما يبدومن المطالب التي يستحيل تحقيقها لا في الحياة ولا بالموت , فالبون شاسع وكبير بينهما , وهو ما يتضح في الحياة وفي الموت , بين مصطفى" الإنسان المجتمع " وبين الشاه– , فرغم ما يبدو لنا من عدالة كون الحياة للجميع , والموت على الجميع ((ولكننا وضعنا تفرقة في أشكال الحياة , وأشكال الموت)) [١]عبر ما نشاهده من صورالتفرقة فيمراسم الدفن و طقوسها ,فعندما يموت الشاه يبكيه الشعراء وحتى الكلاب

و مصطفى في حفرة مهجور

عيونه فارغه و انفه مكسور

أما من ظل منهم على قيد الحياة من الطرفين , فإن أي مقارنة بينهم ضرب من العبث , بل هي من المستحيل ,فهناك في الحياة ألف مصطفى " على مسحاته يدور , مهشما منخور , عيونه جاحظة ووجهه مجدور , بينما الشاه في بلاطه مخمور"

يغرق في الحرير و الاطناب

و يطعم الكلاب

وهكذا فإن ما يراه البعض أن في الموت عدالة , لا يبدو كذلك بل هو مظهر آخر من مظاهر التفاوت , ولو كان الموت عدلا , لكانت الحياة عدلا أيضا:

الموت عدل حسنا، فليضرب الشاه على قفاه

حتى يموت ،ولتكن عادله يا سيدي الحياة [٢]

لا شك أن هذا المقطع يمثل تأملات المعري في لزومياته وهو معتزل في بيته ولا شك أن تعددية القناع هنا , وتصميم الشاعر له بهذا الشكل الإيهامي غير المعين , قد خدما فكرة الشاعر حول تناسخ الحلم وتناسل الجلادين) [٣] وسرعان ما تعاود البياتي شجونه , فيطلق النعوت والشتائم على مثقفي السلطة وشعرائها , في هذا المقطع التاسع :

١-ديوان البياتي ،٢ / ٣٧

٢- مرايا نرسيس ، حاتم صكر ،٢٣٦

٣- ديوان البياتي ،٢ /٣٨

ضفادع الحزن على بحيرة المساء

كانت تصب في طواحين الليالي الماء

تقارض الثناء

ما بينها و تنشر الغسيل في الهواء

تقارض الثناء ما بينها , وتنشر الغسيل في الهواء , من هم هؤلاء ؟ هؤلاء هم أصحاب الامتيازات والنفوذ في نظر الشاعر , و هم أعداء الجماهير , الحاقدون على أبطالها ومفكريها, فهذه اقلام مأجورة تتسلق وترتزق عبر الكلمة , وتحت مظلة الأدب:

و تشرب الشاي و في المكتب النيقه البيضاء

و الصحف الصفراء

كانت تقي حقدها على الجماهير على المارد و هو يكسر والاغلال [1]

والمشهد بكل ما فيه من ألفاظ وعبارات ووصف , يصور حالة الغضب والحنق التي لدى البياتي اتجاه مثقفي السلطة وشعرائها , وهم ينفثون حقدهم على المارد وهو يكسر الأغلال , وتأخذ نبرة البياتي في التصاعد , حتى يصبح يتحدث بشكل مباشر , وبأسلوب يقترب من الخطب السياسية

ضفادع كانت تسمي نفسها رجال

رايتهم في مدن العالم في شوارع الضباب

رايتهم في عرق الجياع

ومن دم الكادح يبنون لهم قلاع

اعلى من السحاب

حتى اذا ما طلع الفجر رايت هذه الضفادع العمياء

على كراسي الحكم في رياء

تغازل الجياع

١- أثر التراث في الشعر العراقي الحديث ، ١٦٣

حتى يصل فيما بعد وبشكل صريح , إلى تمزيق القناع كليا , والتوجه مباشرة إلى الشخصية التي يتقنع بها:

يا ضيعة الانسان

يا سيدي في هذا الزمان

ما دام في المعجم شي اسمه النسيان

ويشكل المقطع الأخير ذروة القصيدة ((فهو الحالة الإنسانية التي كان الوصول إليها غاية القصيدة المتوخاة , متمثلة في الرفض البات الذي يدعو إليه الشاعر وقناعه لكل ما هو زائف في الوجود)) [1] وتبرز في هذا المقطع شخصيات الشاعر حتى الثانوية منها جاليليو لتطفو– – على السطح , ولتسهم في تحديد نهاية القصيدة من خلال تلك المقولة الشهيرة " ولكن الأرض تدور"

١- ديوان البياتي ، ٢ /٤١

المبحث الثاني

الرمز والقناع:

القناع من التقنيات الجديدة التي دخلت مضمار القصيدة الحديثة فاعطتها احدى سماتها الرئيسة ، ضمن عملية توظيف الرمز ، فالقناع جزء من الرمز ، او هو وجه من وجوه عملية الترميز" ومن الممكن تماماً ان يرتقي آل قناع محكم الى مستوى الرمز وفاعليته ، لكن الرمز لايتحول بالضرورة الى قناع [١] برغم العلاقة المتينة التي تربط الاثنين معاً.

ان اساس مصطلح القناع" مسرحي لم يدخل عالم الشعر الا في مطلع هذا القرن (العشرين) ليؤدي وظيفة جديدة تختلف نسبياً عن الوظيفة التي آان يؤديها في مجال المسرح ، وفي الموروثات البدائية قبل ذلك[٢] ارتبط بمعتقدات الانسان البدائي [٣]وممارساته التعبيرية ، وقد عاد الى الظهور في عصر النهضة في مسرحيات تؤديها شخصيات مقنعة لاغراض التنكر والانشاد الغنائي" وربما آان اول من استخدمه في الشعر بوعي ، الشاعر الذي استمد هذا المصطلح عبر استقصاء عميق الايرلندي وليم بتلر ييتس لتقاليد طقوس المجتمعات البدائية [٤]ان اهم وظيفة يؤديها القناع للالبسه اخفاء الشخصية الحقيقية مع امكان التحدث بلسان من يرمز اليه القناع ، أي انه يحقق البعد الموضوعي ، ويبتعد عن النزعة الغنائية ، وقد آان يسعى لتحقيق هذا النزوع ، أي استعمال عدة شخصيات اقنعة ليعبر عن فلسفته الخاصة التي شاعت في اغلب قصائده ، وبشكل خاص في" الارض الخراب "و" الرجال الجوف "وغيرها، مما لم يستطع الشعر الغنائي احتماله.

١ـالحداثه في النص الشعري دراسات نقديه ، ٨٢

٢ـمدارات نقدية في اشكالية النقد والحداثه والابداع : في قصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر ، ١٤ـ ٢٣

٣ـالمصدر نفسه ، ٣ـ١٣

٤ـقلعة اكسل ،٢٧ـ٥٦

اما في الشعر العربي فقد ظهر القناع على ايدي شعراء الحداثة [1]وآان البياتي من السباقين الى آتشاف تقنية القناع ، مقترناً بنظر نقدي واعٍ ، يستند الى ثقافة عرّف بها مصطلح القناع ، لم يزد عليه الدارسون المتخصصون الا يسيرا ، وظل يدور في الدراسات التي اهتمت به ،" فالقناع هو الاسم الذي يتحدث من خلاله الشاعر نفسه متجرداً من ذاتيته ، أي ان الشاعر يعمد الى خلق وجود مستقل عنه ، وبذلك يبتعد عن حدود الغنائية والرومانسية التي تردى آثر الشعر العربي فيها ، فالانفعالات الاولى لم تعد تشكل القصيدة ومضمونها ، بل هي الوسيلة الى الخلق الفني المستقل ، ان القصيدة في مثل هذه الحال عالم مستقل عن الشاعر – وان آان هو خالقها – لاتحمل اثار التشويهات والصرخات والامراض النفسية التي يحفل بها الشعر الذاتي الغنائي [2])واذا آان هناك من شارك البياتي في توظيف هذه التقنية في الشعر من معاصريه ، فانه يقف في المقدمة منهم ، بل هو الرائد بينهم [3])، سواء على مستوى السبق الزمني ، وما يتعلق به ، ام على المستوى الكمي ، وما فيه من تنوع في توظيف الشخصيات .

١ـقصيدة القناع في الشعر العربي المعاصر ،٢٠٩

٢ـتجربتي الشعرية ،٥٣

٣ـمدارات نقدية في اشكالية النقد والحداثه والابداع ،٢٦١

اقنعة البياتي في الوضع السياسي:

عاش العراق ، في القرن العشرين ، في وضع سياسي قلق تظهر آثاره في مفاصل الحياة آافة ، فقد اخذت) السياسة ، والاحداث السياسية مكانة مهمة من حياة العراق بحيث يمكن القول انها تمثل الوجه البارز للنشاط الفكري والثقافي والاجتماعي في العراق [١] لذا لايبقى لاعتزال الحياة معنى ، ففي الانسان طموح ، واندفاع ، وحوله تيارات تجتذبه ، حتى يجد نفسه في لجة الصراع شاء ذلك ام أبى ، وقليلون اولئك الذين حموا انفسهم من هذا ، فخسروا الظهور ، والشهرة ، وهي الغاية ، فقد ارتبطت شهرة الشعراء بمواقفهم السياسية ، وعلو اصواتهم ، من دون النظر الدقيق في ما يقدمون من فن ، ويصدق هذا على البياتي ، فقد امضى حقبة من عمره ، ضجراً آئيباً ، معزولاً ، فما لبث حتى القى بنفسه مع من سبقه ارضاءً للطموح وحباً في الشهرة ، والظهور على غيره ، في حقبة آانت): لليسار المارآسي (القوة ، والقبول عند الشباب المتحمس)، فاقترب منه ، وظهرت اثار ذلك في شعره سريعاً [٢]، حتى تقع ثورة ١٤ تموز فيستبشر[٣] بها خيراً ، لكن خيبته بالثورة تجعله يتوجه بالهجاء الشديد الى ما اوجده الواقع الجديد من رجال وافعال ، استعمل لها رموزاً تناسب أحوالها .تستخرج من بين آثير من شعره تجلت فيه الصراحة ، والبذاءة في الهجاء ، والشتم ، فضلاً عن رآآة ، وبراءة من الفن ،فليس بشعر هو ، ولكنه نثر صحفي في احسن احواله ، وما يهم البحث من هذا سوى الكشف عن الرموز وسبل توظيفها ، تعبيراً عن الاغتراب السياسي ،

١ـالشعر الحر في العراق منذ نشاته حتى ١٩٥٨ دراسه نقدية ، ٧٣

٢ـالمصدر نفسه ، ٨٥

٣ـ المصدر نفسه ، ٢٤٩

فقد رسم البياتي صورة (المنافق) رمزاً للسياسي المتقلب ، لذا اعتمد حقيقة اختلاف الظاهر عن الباطن ، والاستعداد لأي عمل بغض النظر عن المباديء الشريفة ، ففي قصيدة) يوميات سياسي محترف [1] يستمد البياتي ملامح الصورة الرئيسة من شخصية عرفها ، مثلما يبين ذلك في مقدمته النثرية للنص ، ليعرض هذا الانموذج من زوايا مختلفة ، اذ يرصد المقطع الاول الحرآات التي تدل على صفات النفاق:

أخرج للجمهور

لسانه ، وبحلقت عيناه في السطور

واعتدل الخطيب في وقفته ومال نحو النور

وارتفعت يداه آالهراوة السوداء

فوق رؤوس الجالسين العور

ومال نحو النور

ثانية ، وهر في استعلاء

آان اللئيم يمضغ السطور

آان اللئيم ثعلباً مغرور

يقدم المقطع الثالث) المنافق (متحدثاً بضمير المتكلم ليكشف عن اسلوب عمله عبر وصيته:

أقولها من آلّ قلبي لك يا بني

إذا اردت خدمة القضية

فالعب على آل الحبال واحفظ الوصية

١ـ الشعر الحر في العراق منذ نشاته حتى ١٩٥٨ دراسه نقدية ، ١٩٩

لكن الوصية تمثل ، في الوقت نفسه ، بدء انهيار المنافق وتابعيه:

هذا انا أضرب باليمين واليسار

أتباعي الأصفار

يا أيها المخنثون .. اوقفوا عقارب الساعات

وأوقفوا الانهار

فكل ما بنيته ينهار

أمام عيني .. يا لهذا العار

اوصيكم ان تكذبوا لكنكم يا ايها الاصفار

دستم تعاليمي ، والقيتم بها في النار

فقد جمع البياتي بين السياسي والاتباع في صفة النفاق ، ليجعلها في موضع هجاء ، بالكشف عن سوءاتهما جميعاً:

آنت اذا عطست قلتم زأر الضيغم في القفار

آنت ، وآان في يدي الجمهور والسلطة والدينار

فما لكم يا ايها الاصفار

تبارحون المعبد المنهار

وتترآون الثعلب المغلوب في الاطمار

سكران تحت الثلج والامطار

هذا انا اضحوآة الصغار والكبار

يجعل البياتي من البرجوازي الصغير [1] انموذجاً اخر للنفاق ، فيكشف عن سماته بالافعال التي تصدر عنه ،

١ـ الشعر الحر في العراق منذ نشاته حتى ١٩٥٨ دراسه نقدية ، ٢٣

فهو:

يشرب بالمجّان والدَّين – ولايدفع – في بيروت

فان صحا ، فالشام

جارية له ، على اقدامها يبول

عشرون عاماً وهو في دفتره الاسود يستجدي

السكارى

نعمة الاصغاء

لشعره الهراء

ببسمة صفراء [1]

وقد عمق البياتي النفاق برصد الافعال المتعارضة التي يؤديها المنافق:

رأيته يبكي على الحسين

ويطعن الحسين

في آربلاء طعنة الجبان في العينين

يقبل اليد التي تصفعه لقاء ليرتين

وقد يبدو البياتي مأخوذاً بقافيته هذه فجعل طعنة الجبان في العينين ، وهذا فعل الشجعان من الناس ففيه اقدام ومواجهة ، اما الجبان فقد يفر ، او يطعن في الظهر طعن الغادرين ، الا اذا آان المطعون ميتاً.

١ـ ديوان البياتي ، ٢ /٤١

اقنعة البياتي في الموت

ديك الجن:

يوقع الحبيب العاشق الموت على الحبيبة المعشوقة على وفق الحكاية المعروفة التي يوظفها البياتي في قصيدة (ديك الجن)[1] فيعمد الى ادخال تغيير على النسق الاصل ، بادخال نسق جديد يتقنع به و يغير به الاسباب ، او الدوافع التي اوصلت الى القتل لتكون بفعل عوامل موضوعية هي حصيلة ظروف اجتماعية وسياسية معاصرة ، تدفع بديك الجن الى القتل ، ليرتقي به البياتي الى قناع معبر ، مثلما ارتقى بالحبيبة القتيلة الى رمز حين جعلها" جنية "، وتضاف الى شخصية ديك الجن ابعاد جديدة لم تكن موجودة في الاصل:

-رأيت ديك الجن في القاع بلا اجفان

على جواد عصره المهزوم

يقاتل الاقزام

مهاجراً في داخل المدينة

من شارع لبيت

على جواد الموت

وتزداد مأساة ديك الجن عمقاً حين تتألب عليه رموز عصره مع رموز العصر الحاضر.

ليحمل الهمين معاً:

١-الشعر الحر في العراق منذ نشاته حتى ١٩٥٢ دراسه نقديه ،ص٣٣٩

-رأيت ديك الجن من فردوسه مطرود

يصطاد في قفار ليل موته الاسود

والكلمات السود

ملطخاً بالحبر والغبار

وعرق الاسفار

وصاحب الخليفة

-آنت على ظهر جوادي الاخضر الخشب

اقاتل الاقزام في (مدريد)

ليكون هذا مقدمة تنذر بلا جدوى الذي اقدم عليه ديك الجن وهو (القتل) برغم قوة الافعال التي ينطق بها ، اذ ينتهي الامر الى هيمنة الموت في نهاية المشهد العنيف:

-انا امير الليل

قتلتها – مزقتها بالسيف

تحت سماء الصيف

مرنحاً سكران

أشعلتُ في اشلائها النيران

صنعت من رمادها فراشة ودمية

وقدحاً مسحور

لأرتوي منه ، فيا خمار حان النور

ماذا لنار بعثها أقول؟

فهذه الطبيعة الحسناء

قدرت الموت على البشر

واستأثرت بالشعلة الحية في تعاقب الفصول[1]

١ـديوان البياتي ، ٢ /٤٧

هذا هو مشهد القتل ، اما الدافع فهو شدة الحب في عصر لايبيح الحب ، اما طرفا الحب فهما جنية وانسان ، وهذا ما يجعل اجتماعهما مستحيلاً ، غير ان الجنية رمز يبدو واضحا في دلالته ، ولذلك يكون القتل مأساة تشبه الانتحار:

ايتها العدالة الميتة الوهمية

يا ايها القضاة

تلك هي القضية

وقعت في حبائل الجنية

حمامة آانت على الخليج

تنوح في الشرك

لؤلؤة غواصها هلك

صفراً من الذهب [1]

يدور حول نفسه في العدم الرهيب

هذا ما انتهى اليه الحال في الزمن الحاضر ، وفي الحياة الدنيا ، ولاسبيل الى التغلب عليه ، فكان التعويض بزمن مستقبل ، في عالم آخر:

-غداً امام الله في الجحيم

احطم الدمية والقدح

اتبعها عبر الممرات الى الفرات

ابحث في مياهه عن خاتم ضاع وحب مات

انام في الضفاف

صفصافة تنتظر العراف

والبرق والعصفور

وراقصات النور

١-ديوان البياتي ، ٢ /١٠٢

ولكن جاء هذا التعويض ناقصاً ايضاً ، فهو ينتهي الى الجحيم ، والى الانتظار الذي قد يجدي او لايجدي ، وبذلك يكون اليأس قد هيمن على هذه النهاية التي انتهى اليها ديك الجن رمزاً ، والبياتي شاعراً في نصه الذي توسع بهذا الرمز حين اجرى عليه تحويراً في الدوافع والغايات ، وتغيير ملامح الشخصيات وافعالها فالحبيبة تحولت الى جنية ، والعاشق الى رجل معاصر يحمل هموم العصر الذي يعيش فيه البياتي ، وليس ديك الجن ، آان هذا من منافع الترميز الذي يريد الكشف عن عورات الحاضر بخطاب الماضي وادواته.

الأصفر:

بدا اللون الأصفر عند البياتي في) اسطورة عيقر [١] ليرمز به للموت وهو من بعض مشاهدات الشاعر في هبوطه وادي عيقر: فلمحت في احنائه جيف البلى تطفو على مرآة نهر اخضر وبهائماً ترعى هشيماً يابساً وتلوك اقصاب الهوى الأصفر وحطام قيثار يقال بأنه بالأمس غنى في رعاية" قيصر" في (الحديقة المهجورة [٢] التي يسكنها الموت يأتي اللون الاصفر مؤآداً له:

كوريقة صفراء ، يا ريح الشمال!

عبر البحيرات العميقة ، والبساتين احملييني ، والتلال

يا انت ياريح الشمال

فريح الشمال من رموز الموت المؤقت في اقل تقدير تحمل الثلوج في هبوبها ، اما في (الالهة والمنفى) [٣] فيأتي اللون الأصفر توآيداً للموت السائد في النص ، فالأصفر يصف "التابوت "ولا حاجة في التابوت لتوآيد دلالة الموت فيه ، لكن البياتي يوغل في تعميق الاحساس به فيتبعه برمز للموت آخر فضلاً عن السياق العام وهو سياق موت واضح:

١-اساطير بابليه ،١٠٣

٢-المصدر نفسه

٣-الرمز الاسطوري عند السياب ،٧٠

انتِ يا ناسجة الآفان في وهج الظهيرة

فارسي مات على دين الملايين الفقيرة

مات في ارض غريبة

مات :لم تعول على تابوته الاصفر ،

لم تعول حبيبة

اما في قصيدة) عن الميلاد والموت[1] فيصرح بالدلالة على الموت حين يجعل العشبة الصفراءمقابلاً لحقل الورود:

ستعودين الى الارض التي تخضر عوداً بعد عود

لتضيئي الحجر الساقط في بئر الوجود

لتموتي من جديد

لتعودي عشبة صفراء في حقل ورود

عندليباً في الجليد

ستعودين ولكن لن تعودي

في قصيدة (خيط النور) يكون الاصفرار مقدمة للموت:

١--الرمز الاسطوري عند السياب ،٧٠

يعلو وجهه اصفرار

يصيح في مئذنة ، يدق في ناقوس

يمارس الطقوس

يعدم رمياً بالرصاص ، عارياً يولد او يموت [1]

يقع اللون الاصفر وصفاً للكتب والصحف والجرائد واللحى ، ليدل به البياتي على طبقة رجعية مضادة للثورة ، في عرفه ، ففي قصيدة الى (فلاديمير مايا آوفسكي) الشاعر الروسي الذي مات منتحراً يظهر ذوو اللحى الصفر رمزاً لقوى الاستبداد والرجعية التي قتلت بوشكين من قبل:

الحقد يلمع في عيون ذوي اللحى الصفر الطوال

القاتلي (بوشكين) الجبناء

أشباه الرجال

وفي قصيدة) الليل في(آل مكان) يأتي اللون الاصفر وصفاً للكتاب ، وهو من جملة ما انتجه سطوة الظلم:

عديدة أسلاب هذا الليل في المغارة

جماجم الموتى ، آتاب اصفر ، قيثارة

نقش على الحائط ، طير ميت ، عبارة

مكتوبة بالدم فوق هذه الحجارة

اما الجرائد الصفر ، فهي جرائد الزيف والنفاق التي يبغضها البياتي فتظهر في (المخاض) رمزاً لسطوة الحكام المستبدين:

فالعالم في العصر الجليدي على ابوابه الجنود

والطغاة يحجبون بالجرائد الصفراء نار الليل

والنبيذ والقيثار

١--ديوان البياتي ، ٢ /٧٠

الجنية:

وهي من الرموز الانثوية التي تظهر في شعر البياتي لتحمل سمتها السحرية [1] الاصيلة التي عرفت بها في الموروث الشعبي ، وهو يحاول توظيفها بهذه السمة ، مع سمات اخرى يسندها اليها لتكون اداته التعبيرية التي تعمل على تعميق الدلالة الرمزية التي توحي بها حمولة نصوصه.

تظهر) الجنية (في قصيدة) الحجر[2] لتعلن موت سندباد ، وهي تتولى السرد بضمير المتكلم:

جنية البحر على الصخر تبكي :مات سندباد

وها انا اراه

بورق الجرائد الصفراء مدفوناً

١-الرويا في شعر البياتي ،٢٠٠

٢-الشعر الحر في العراق منذ نشاته حتى عام ١٩٥٨ دراسه نقديه ، ٣٨٦

وتتعرض الجنية للاغتصاب حين يلبس الموت قناع ثعلب عجوز فتكون واحدة من ضحاياه:

الثعلب العجوز

الملتحي بالورق الاصفر والرموز

يغدر بالجلاد والضحية

يغتصب الجنية

في قصرها المسحور

يجرها من شعرها عارية للنور

فقد اتضحت بعض ملامح الجنية هنا ، على غير ما وردت عليه حين اقتصرت على اضافتها الى البحر ، وان آان تعبير) جنية البحر (يوحي ببعض ملامحها القارة في الوجدان الشعبي ، اذ تنحاز بصورة اكبر نحو ايجابيتها الواضحة بظهورها في النور .لكنها تظل محدودة في دلالتها الرمزية لضيق المجال الذي تتحرك فيه ، وهو ما تتحرر منه في قصيدة) :ديك الجن [1]حين تصبح الشخصية الرئيسة في النص قبالة شخصية) ديك الجن (فهي الحبيبة التي قتلها ، ولكن ، ليس بالسياق التاريخي المعروف ، فهي لاتحمل من ملامح تلك الحبيبة سوى بعض الاثار العاطفية التي عدل سيرها باتجاه اخر ، فهي ليست قضية شخصية بحدودها العاطفية حسب ، بل آابر من ذلك واعم .

١-الرؤيا الشعريه في شعر البياتي ،ص٤٣٩

عشتار:

من رموز البياتي المهمة ، وقد وظفها في اتجاهات آثيرة ، بما لها من طاقة ، وقدرات واسعة في التعبير و قد استخدمها البياتي كقناع انثوي لسرد تاريخ الغراق القديم نستطرقا بها الى قضايا عديده .

تنتمي) عشتار (الى حضارة وادي الرافدين ، ومنها الى الحضارات الاخرى ، مع تغيير في التسمية ، وبعض الوظائف ،) فهي اله آوآب الزهرة الذي لفت انتباه الانسان منذ القدم بشدة بريقه وجماله وديمومته في السماء الى الصباح ، لذلك ، تعني مرة نجمة الصباح ، واخرى نجمة المساء في سومر واآد ، ولدى الكنعانيين ، وفي بابل واشور تعني نجمة الصباح [١]

اما اسمها السومري الاصلي فهو")انانا "ملكة السماء والهة الضياء والحب والحياة[٢]

وقد عرفت عشتار بسعيها الحثيث من اجل رفعة مدينتها ، فقد كانت) متلهفة على توفير المزيد من النعمة والرخاء في مدينتها لتجعلها مرآزاً للحضارة السومرية ، ثم تطلق عليها اسمها وشهرتها ، ولاجل ذلك صممت على الذهاب الى) أريدو (موطن الحضارة القديمة ومدينة أنكيس يد الحكمة والمطلع على ما في قلوب الالهة[٣] وآان من نتيجة هذه الزيارة ان قدم أنكي (الى) أنانا (آثيراً من المراسيم المقدسة التي ترفع من شأنها امام الألهة والناس ، وهو ما دفع الشاعر العراقي القديم لان يتغنىبها في ترتيلة عظيمة .

١-الرمز الاسطوري عند السياب ، ٧٠

٢- الاساطير السومريه دراسه في المنجزات الروحيه والادبيه في الالف الثالث قبل الميلاد ،١٣٣

٣-الاسطوره والتراث ،٥٦-٧٤

اما الجانب الاخر من خصائص عشتار فهو ما يتعلق بنزولها الى العالم السفلي فقد كانت عازمة على انقاذ عشيقها) تموز (فتجمع آل ما تحتاجه من مراسيم مقدسة وترتدي ثياب الملكية وتتحلى بالاحجار الكريمة وتتهيأ لدخول" الارض التي لا رجعة منها "الارض التي

تحكمها اختها الكبيرة ، وعدوها اللدود" ارسخيكال "الهة الظلام والكآبة والموت[1] ، ونزول عشتار ، وما يرافقه من رسوم قاسية يكشف عن فكرة الجحيم في الاساطير البابلية [2] وما يلاقيه الانسان ، المذنب ، من صنوف العذاب في يوم الحساب ، ولكنها تعبر في الوقت نفسه عن التوق الاثير لدى الانسان في تحقيق فكرة المساواة بين العبد والسيد اذ) يستوي الحال على آل المذنبين لا فرق بين سيد ومسود ، ونبيل وعبد ، وغني وفقير ، الناس سواسية ، ويكافأون على قدر الذنوب التي ارتكبوها لان الحياة الدنيا لا توفر مثل هذه المساواة ، فلا اقل من ان تتحقق في العالم الثاني يبدأ الظهور الفعلي لعشتار بديوان) الذي يأتي ولا يأتي (مرتبطة بحياة الخيام التي يرصدها الديوان ، حين تظهر بتجليات اخرى ، ولكنها تحتفظ بخصائصها الرئيسة ، ويمكن ان تكون السحابة (احدى تلك التجليات في قصيدة) صورة على غلاف

-مولاي ، لا غالب الا الله

فلتغسل السحابة

ادران هذي الارض هذه الغابة

ولينهض المو

١-الاساطير السومريه دراسه في المنجزات الروحيه والادبيه في الالف الثالث قبل الميلاد ، ١٣٣

٢-اساطير بابليه ،٩١-١٠٣

فهي تمارس فعل البعث والاحياء ، وهو من خصائص عشتار ، وتظهر آذلك في قصيدة "الطفولة "بأسم نجمة الصباح ، وهي من اسمائها المعروفة:

آلمت نجمة الصباح قلت يا صديقة

اتزهر الحديقة

وتولد الحقيقة

من هذه الآآذوبة البلقاء

فهي تعمل بالسمة نفسها وهي البعث والاحياء ، لكن فعلها هذا يتجه في قصيدة) الصورة والضل [1]الى احياء) اوزريس (المصري الذي يقابل) تموز (العراقي وبذلك تكون عشتار معادلة ، او تحولت الى) ايزيس (الالاهة المصرية التي تبعث الخصب والثمار

لو جمعت اجزاء هذي الصورة الممزقة

إذن لقامت بابل المحترقة

تنفض عن اسمالها الرماد

ورف في الجنائن المعلقة

فراشة وزنبقة

وابتسمت عشتار

وهي على سريرها تداعب القيثار

وعاد اوزوريس

لانطفأت احزان حادي العيس

١ـ اساطير بابليه ،٧٥ ـ١٠٢

وفي) المرتزقة [1]ترد عشتار بصيغة الاخبار الاسمى الذي يدل على الثبات

عشتارماتت في الاساطير

لتندمج ، رمزاً مؤآداً ، في ظلال الموت والزيف الذي يغمر النص .وآذلك الامر في النبوءة (اذ تأتي رمزاً جزئياً ، لكنه ينتمي الى السياق العام المهيمن على النص وتغذيه بطاقتها الرمزية وان آان مرورها عابراً:

اما في) هبوط اورفيوس فتعود الى اداء فعلها في البعث والاحياء:

-عبثاً تصرخ فالليل طويل

وخطا ساعاته في مدن النمل حريق

آلما نادتك عشتار من القبر ومدت يدها ذاب الجليد

وانطوت في لحظة آل العصور

واذا بالليل ينهار وتنهار السدود

واذا بالميت المدرج في آفانه يصرخ آالطفل الوليد

بعد ان بارآه الكاهن بالخبز وبالماء الطهور

فعشتار التي تنتمي الى عالمها الاسطوري الخاص ، تنتزع من هذا العالم لتدمج في عالم اخر هو اسطورة اورفيوس بجامع الهبوط الى العالم الاسفل ، من دون ان تتصادم الاسطورتان وبذلك ينتج نص اسطوري جديد من تمازج الاثنين معاً.

١-الاعمال الشعريه الكامله ،٩٢-١٠٥

الخاتمه

يعد القناع جزءاً من الترميز ، ووسيلة ناجحة من وسائله ، ويمكن ان: يرتقي آل قناع محكم الى مستوى الرمز وفاعليته ، لكن الرمز لايتحول بالضرورة الى قناع فهي علاقة جزء بكل . يقدم القناع للشاعر امكان تقمص الشخصيات والحديث بلسانها وهو أمر لايتوافر في الرموز الأخرى ، لان القناع غالباً ما يكون شخصية اسطورية او تاريخية ، لها حدودها الموضوعية التي تمكن مستعمل القناع من الاقتراب من الشعر الى الدرجات العلى من الموضوعية ان أحسن صياغة علاقته بالقناع ، بما لايجعل صوته يطغى على صوت قناعه ، او يتدخل في نمو شخصيته ، وهذا خلل عانى منه الشعر العربي بعد ان آثر مستعملو القناع.

آان البياتي رائد قصيدة القناع في الشعر العربي الحديث ، وقد توفر لديه الوعي اللازم بهذه التقنية ، وذلك يظهر واضحاً في تنظيره لها الذي اصبح مدار الدراسات النقدية اللاحقة, واتبع ذلك بتطبيقات عملية ناجحة هي مثل يحتذى للشعراء .لكن هذا لايعصم البياتي من بعض الخلل في توظيف القناع في شعره ، فهو اذ يعتمد عرض الشخصية التي يتخذها قناعاً بطريقة فنية ، قد يتجاهل في بعض الاحيان مفاصل مهمة من حياتها ، لتطغى جوانب اخرى ، فالحلاج قد اصبح ثورياً معاصراً ينادي باسم الفقراء ، ويدافع عنهم ، ولم تخضع قضيته التي صلب من اجلها – وهي محل خلاف – الى العرض والمناقشة ، فهي شخصية احادية من حيث الموقف ، شخصية المضحي من اجل غيره ، وهذا فهم للشخصية يعتمد جانباً واحداً منها فيبتعد عن حقيقتها ، ثم ان هذه الشخصية نفسها تخضع للتحول ، لتتناسب مع التغير الذي طرأ على شخصية البياتي نضجاً ومعتقداً وهذا يعني ان التغير الذي يصيب البياتي سيظهر في القناع ، وبذلك تصاب صفة) الموضوعية في الصميم ، وان آان هذا يخضع لمستوى البناء الفني الذي يثبت البياتي قدرته في تعديله وتغييره ، مستفيداً من تلك القدرة في بسطها على الشخصية .وهو ما يظهر بصورة آثر وضوحاً مع ابي العلاء المعري فقد بدأ لدى البياتي متفائلاً الى درجة آبيرة حتى قلب مفهوم الموت عند المعري الى حياة دافقة قوية ، ثم تحول به في" محنة ابي

العلاء "الى قضية الغربة الفكرية وموت الفنان في الزمن السيء ، ثم تعود الشخصية الى اصلها فيسود التشاؤم ويتراجع الأمل ، وهذا ما يمكن ان ينطبق على اقنعة اخرى استعملها البياتي ، وهو ما يعني ان البياتي يقدم صوراً مختلفة للشخصية الواحدة ، ومنها اقنعته المستقاة من الرموز التي ابتكرها ونماها ثم استعملها اقنعة له ،

بهذه الصورة عمل الشاعر البياتي قدر الإمكان , على الإفادة من تقنية القناع , التي شكلت في قصيدته محورا أساسي اً , حاول من خلاله طرح أفكارهومواقفه من قضايا مختلفة في الحياة , وما فيها من تناقضات تمس وجود الإنسان , والأنظمة السياسية التي تحكمه بكل أشكالها وصورها, والطبقات المثقفة وما تمارسه أحيانا من أشكال النفاق السياسي , الذي يسهم بشكل كبير في زيادة طغيان هذه السلطات وتجبرها على شعوبها , وهو ما يراه الشاعر يتكرر في كل عصر وزمان, عبرت عنه الشخصية التي تقنع بها قديما , وها هو يعبر من خلالها عن هذه الحالة في عصره, وبهذا فقد عمل على إسقاط جانب من تجربة هذه الشخصية المستدعاة على عصره , متخطيا زمنها وتاريخها , ومحاولا الإفادة منها , في معالجة بعض القضايا الراهنة , رغم أن البياتي لم يقتصر على شخصية المعري فقط , بل كان له استدعاءات لشخصيات أخرى أسهمت بدورها في إثارة بعض التساؤلات التي عبرت عنها القصيدة , وشكلت جزءا من بنيتها , ولكن تظل شخصية المعري التي تقنع بها , الأساس الذي تمحورت حوله هذه التجربة الشعرية , وجل ما تناولته من مواقف حول قضايا العدالة والحق والخير , والنفاق والكذب والزيف التجبر والطغيان , التي ترفضها الشعوب وتناضل من أجل إسقاطها , وإرساء قيم جديدة تكرس للحرية والعيش الكريم .

قائمة المصادر والمراجع

١- أثر التراث في الشعر العربي الحديث / علي حداد / دار الشئون الثقافية العامة / بغداد / ط1- 1986م.

٢- اتجاهات الشعر العربي المعاصر /احسان عباس / المؤسسة العربية للدراسات والنشر- /

٣- أثر التراث في الشعر العراقي الحديث / علي حداد /دار الشؤون الثقافية / بغداد / ط 1986 م–

٤- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر / علي عشري زايد / الشركة العامة .- 1971م / للنشر والتوزيع / طرابلس ليبيا / ط ١

٥- الأسطورة في الشعر العربي الحديث / أنس داود / المنشأة الشعبية للنشر / طرابلس ليبيا / د .- ط 1, د ت

٦- الاعمال الشعرية الكاملة :عبد الوهاب البياتي ، دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ،

٧- برج بابل النقد والحداثة / غالي شكري / الهيئة المصرية العامة للكتاب / القاهرة 1994 / م- بيروت / ط 2 199 م

٨- تجربتي الشعرية / عبد الوهاب البياتي / دار العودة / بيروت / ط 2 199 م

٩- تقنية القناع دلالات الحضور والعياب / خلدون الشمعة / مجلة فصول مج / 6 العدد / 1 ط- 1

١٠- ديوان عبد الوهاب البياتي / دار العودة / بيروت / ط 1 198 م

١١- الرؤيا في شعر البياتي / محي الدين صبحي / دار الشؤن الثقافية العامة / بغداد / ط 1 196 م-

١٢- الشعر الحر في العراق منذ نشأته حتى ١٩٥٨ دراسة نقدية

١٣- الشعر طقوس و الحضارة / محي الدين صبحي / دار الملتقى / بيروت / ط 1 199 م– .

١٤- شعرنا العربي الحديث إلى أين / غالي شكري / الهيئة المصرية العربية للكتاب / القاهرة- / ط 1 1994م

١٥- الصحاح / الجوهري / دار العلم للملاين / بيروت / دط . د ت. ط 1 198 م

١٦- فاتحة لنهايات القرن العشرين بيانات من أجل ثقافة جديدة / أدونيس / دار العودة / بيروت- /

١٧- قصيدة القناع / عبدالرحمن بسيسو / رسالة دكتوراه / جامعة القاهرة 1996 م

١٨- -قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر / عائشة عبد الرحمن / دار المعارف / القاهرة / ط1-

١٩- لسان العرب / ابن منظور / دار صادر بيروت / ط3

٢٠- مرايا نرسيس / حاتم صكر /المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر /بيروت / ط 1981 م- / المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع / طرابلس ليبيا / د ط . د ت.